

ثنائية الإرهاب والإسلاموفوبيا في أوروبا بين التأثير والتأثر

The duality of Terrorism and Islamophobia

in Europe in a two-way influence

عبد القادر سحنون* رشيدة بوجحفة

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

rachida.boudjahfa@univ-mosta.dz abdelkader.sahnoune.etu@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2022/06/06 - تاريخ القبول: 2022/11/29 - تاريخ النشر: 2022/12/26

الملخص:

تحاول هذه الدراسة تفسير درجة التأثير والتأثر بين الإرهاب والإسلاموفوبيا وخاصةً بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 التي أدت إلى تنامي نشاط التنظيمات الإرهابية المتطرفة باسم الإسلام على اختلاف أهدافها وتوجهاتها، بالإضافة إلى ظهور أحزابٍ يمينيةٍ متطرفةٍ في أوروبا و بروز ما يسمى بظاهرة الإرهاب المضاد. تهدف هذه الدراسة إلى تفكيك الارتباط التفاعلي بين ظاهرتي الإرهاب والإسلاموفوبيا للسعي لمواجهة سياسات الدول الغربية التي تركز ثقافة الكراهية والعنف المرتكب ضد الإسلام. وبعد الوصف والتحليل، تم التوصل إلى أن رهاب الإسلام ليس مجموعةً من الأحداث العشوائية المستقلة، بل هو ظاهرة ذات عوامل هيكلية وسياقية يجب معالجتها كوحدة واحدة مع الظاهرة الإرهابية. الكلمات المفتاحية: الإرهاب؛ الإرهاب المضاد؛ الإسلاموفوبيا؛ أحزاب اليمين المتطرف؛ أوروبا.

Abstract:

This study analyses the degree of a two-way influence between Terrorism and Islamophobia, especially after the 9/11 attacks that led to Terrorist Organizations in the name of Islam despite their targets and trends, in addition to the emergence of extreme right-wing parties in Europe that contributed to anti-terrorism.

This study aims to disconnect the two concepts to confront the Western countries policies devoting the culture of hatred and violence perpetrated against Islam. And after description and analysis, the study concluded that Islamophobia is not a set of random occurrences, but a phenomenon that must be addressed to Terrorism as one unit.

Keywords: Terrorism; Anti-Muslim; Islamophobia; Extreme Right-Wing Parties; Europe.

مقدمة

لقد استطاعت أحداث 11 سبتمبر 2001 وما أنتجته من تحولاتٍ إستراتيجية في نمط العلاقات بين الدول أن تبين للعالم بأكمله بأنّ الإرهاب ليس مجرد ظاهرة وطنية، بل يتعداه إلى مفهومٍ أوسع من ناحية موضوعه ومظاهره ونطاق عمله، أي أنه إرهابٌ عبر-وطني عابِرٌ للحدود. وعليه فالممارسات الإسلاموفوبية ضد الإسلام عرفت منحى تصاعدي مع توالي النشاط الإرهابي وارتباطه بالجماعات الإسلامية المتطرفة في الدول الأوروبية خصوصاً، وعلى سبيل المثال التفجيرات الإرهابية في مدريد 2004 وفي لندن 2005 ثم في باريس 2015.

وبناءً على ذلك، لا يمكن فهم الظاهرة الإسلامية فوفوبية بمعزلٍ عن ضبط مفهوم الإرهاب في حدّ ذاته، فمدى الترابط بينهما يبدو من خلال علاقة التأثير والتأثر، وذلك بعد بروز عدّة عوامل أهمها أحداث 11 سبتمبر 2001، وتزايد أعداد المهاجرين المسلمين على وجه التحديد، وبرز دور أحزاب اليمين المتطرف في تغذية نوعٍ جديدٍ من الإرهاب يسمى بالإرهاب المضادّ.

يبدو بأن ثقافة كراهية الإسلام في الطُروحات الأوروبية في حالة تفاعلٍ متبادلٍ مع منطق الإرهاب، فكلاهما يتغذى من الآخر، حتى أن الإرهابي من هذا الجانب يحتاج إلى المتطرف من الجانب الآخر، بحيث يوقّر كل فريقٍ منهما المسوّغات المادية والفكرية لوجود الآخر. ولذلك فالتعامل مع مسألة الترابط بينهما في الدراسات الأكاديمية والمضامين الإعلامية ومناهج التربية والتعليم في المجتمعات الأوروبية والإسلامية، إنّما يتشكل من الاقتناع بأنهما ترتبطان ببعضهما البعض ضمن علاقةٍ جدليةٍ، بحيث أن إدراكهما لن يتأتى إلّا بالتعامل معهما كوحدةٍ واحدةٍ ينبغي فهم أسبابها وإدراك أبعادها وملاحظة تفاعلاتها.

يكتسي هذا الموضوع أهميةً بالغةً باعتباره يعالج قضيةً جوهريةً في المجتمع الدولي، وذلك على أساس اعتبار أن كلا من الإرهاب والإسلاموفوبيا يدخل في دائرة المخاطر والتهديدات الأمنية اللاتماثلية، بحيث زاد الاهتمام الدولي بهذه التهديدات منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 بأخص الذكر. وعليه، سوف تحاول هذه الورقة البحثية توضيح العلاقة الإدراكية بينهما من خلال تبيان الدور الذي يلعبه الإرهاب في التأثير على صورة المسلمين في أوروبا، وكيف تؤدي هذه الممارسات إلى ردود أفعالٍ إرهابيةٍ غربيةٍ مضادّةٍ تمارسها بعض الجماعات المعادية للإسلام، وعلى رأسها الأحزاب اليمينية المتطرفة، وهذا ما يقود ل طرح الإشكالية الآتية:

هل ترتبط ظاهرة الإسلاموفوبيا بقضايا الإرهاب الدولي المرتكبة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 أم أنها نتاج تاريخٍ طويلٍ من الصراع بين العالم الغربي الأوروبي والعالم الإسلامي؟
التساؤلات الفرعية:

وتندرج تحت إطار هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية الآتية:

1- ماذا يُقصد بمفهوم الإرهاب والإسلاموفوبيا في كلا من الطرح الأوروبي والإسلامي؟

2- كيف أدّت الظاهرة الإرهابية إلى تنامي الأفكار الإسلاموفوبية في أوروبا؟

3- كيف أدّت ظاهرة الإسلاموفوبيا إلى تصاعد الإيديولوجية اليمينية المتطرفة في أوروبا؟

الفرضيات المقترحة:

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة والتساؤلات الفرعية المتعلقة بها، يتم

اقتراح الفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى: إن عدم ضبط مفهوم كل من الإرهاب والإسلاموفوبيا في القانون والعرف الدولي يؤدي بالضرورة إلى وجود تناقضٍ في الطرح الإسلامي والأوروبي للمصطلحين.

الفرضية الثانية: ترتبط الظاهرة الإسلاموفوبية بحجم الأعمال الإرهابية المرتكبة باسم الإسلام في القارة الأوروبية.

الفرضية الثالثة: تغذي أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا جماعات الإرهاب المضادّ المرتكبة ضد الإسلام.

الإطار المنهجي:

لقد تم الاعتماد على تكاملية منهجية فرضتها طبيعة الدراسة، بحيث تم توظيف منهج دراسة الحالة لتفسير حالة مرتبطة بمجتمع مصغر هو القارة الأوروبية للوصول إلى تعميمات تنطبق على غيرها من الوحدات المشابهة، هذا فضلاً عن المنهج المقارن بدراسة ثنائية الإرهاب ورهاب الإسلام، إذ يُفترض وجود ارتباطٍ علائقي بين الظاهرتين من خلال إجراء مقارنةٍ داخليةٍ وخارجيةٍ بينهما، كما تم اعتماد المنهج الاستنباطي أي الوصول من عموميات ظاهرتي الإرهاب والإسلاموفوبيا إلى خصوصياتٍ جزئيةٍ في الواقع الإسلامي والأوروبي.

تقسيم الدراسة:

لقد جاءت الدراسة مقسمةً إلى ثلاثة محاور، تم تخصيص الأول كدراسةٍ مفاهيميةٍ حول الإرهاب والإسلاموفوبيا لشرح حدود الالتقاء مع مختلف المصطلحات المتشابهة، أمّا الثاني، فيتطرق إلى دور الإرهاب في تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا لدراسة الخلفية التاريخية والإيديولوجية والأكاديمية لبداية التنظير لهما، في حين أن المحور الثالث والمعنون بـ تأثير ظاهرة الإسلاموفوبيا على ظهور الإرهاب المضادّ في أوروبا، فهو تحليلٌ لما أُصطلح عليه بالإرهاب المضادّ.

المحور الأول: دراسة مفاهيمية حول الإرهاب والإسلاموفوبيا

يُعد كلٌّ من مفهومي الإرهاب والإسلاموفوبيا من أكثر المفاهيم إثارةً للجدل، وذلك بالنظر إلى مدى تعرضهما للتلاعب فكرياً وإعلامياً وسياسياً لاختلاف التوجهات الفكرية والعقائدية والسياسية، فالربط بينهما هو أمرٌ مبررٌ من الناحية الفقهية رغم التباعد الزمني لظهورهما، وفيما يلي أهم التعريفات المقدّمة:

1- مفهوم الإرهاب:

لم يتم الاتفاق على تحديد مفهوم الإرهاب بالرغم من المحاولات الأكاديمية والفقهية وحتى الإجرائية المختلفة، وهذا في ظلّ تعدد الاتفاقيات والمعاهدات القانونية المحلية والدولية من أجل ضبط المفهوم، وكذلك تشابك المسببات الدافعة للقوى العالمية المهيمنة في النظام الدولي مع الدوافع الحقيقية للقضاء على هذا التهديد الأمني اللاتماثلي الجديد خاصةً بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، هذا من جهة. أما من جهة ثانية، فيتداخل الإرهاب مع عدّة مفاهيم أخرى مشابهة.

أولاً: الإرهاب لغةً واصطلاحاً

يأتي الإرهاب من مصدر الفعل الرباعي أَرْهَبَ المزيد من الفعل الثلاثي رَهَبَ رَهْبَةً ورُهْباً، بمعنى الفزع والخوف والرعب الشديد الذي يُقارب الهلع لدى الشخص أو الجهة المستهدفة به، هذا فيما يخص اللغة العربية أو حتى في بقية اللغات الأجنبية التي تترجمه إلى لفظة (terrorism). وعلى هذا الأساس، فالإرهاب لغةً هو كل فعلٍ لفردٍ أو جماعةٍ أو دولةٍ يهدف إلى إحداث الهلع والرعب سواءً كان المستهدف فرداً أو جماعةً أو دولةً. وقد أقرّ مجمع اللغة العربية الإرهاب في المعجم الوسيط ككلمةٍ حديثةٍ لوصف الأفراد الإرهابيين الذين يسلكون سبيل العنف والترويع والترهيب كأدواتٍ لتحقيق أهدافهم السياسية¹.

أما من الناحية الاصطلاحية، فتعرّفه الموسوعة السياسية بأنه كل استخدامٍ أو التهديد بالاستخدام غير القانوني للعنف بأشكاله المختلفة كالاعتقال

¹ : دغجوقه محمد، ظاهرة الإرهاب الدولي وانعكاساتها على الأمن الوطني الأردني، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الشرق الأوسط الأردن، 2014-2015، ص 17.

والتشويه والتعذيب والتخريب والذسف، وذلك بغية تحقيق أهدافٍ سياسيةٍ معيّنةٍ مثل القضاء على المقاومة ضد الأفراد أو الهيئات والمؤسسات كوسيلةٍ من أجل الحصول على المال أو المعلومات، أو استخدام الإكراه لإخضاع طرفٍ مناوئٍ لمشيئة الجهة الإرهابية².

وقد حاول الفقه العربي تعريفه من خلال الدكتور صلاح الدين عامر باعتباره مصطلحٌ لطالما أُستُخدم في الأزمنة الماضية للإشارة إلى الاستخدام المنظم للعنف قصد تحقيق هدفٍ سياسي، وبصفةٍ عامّةٍ هو يقصد جميع أعمال العنف التي تقوم منظمةٌ سياسيةٌ بممارستها على المواطنين³. كما وضع شريف بسيوني تعريفاً أخذت به فيما بعد لجنة الخبراء الإقليميين التي نظّمت اجتماعاتها الأمم المتحدة في مركز فيينا في مارس 1988، بحيث أن الإرهاب هو إستراتيجية عنفٍ محرّمٍ دولياً، تُحفّزها بواعثٌ عقائديةٌ تتوخى إحداث عنفٍ مُرعبٍ في مجتمعٍ معيّن⁴.

يقع مفهوم الإرهاب في دائرة المفاهيم والقيم التي يحاول الفقه الغربي فرضها على العالم وفقاً لمقاربةٍ عولمة الإرهاب، وهذا بعد تراجع مقاربتها حول نشر الديمقراطية. وفي هذا الصدد، أشار الباحث بول كراغ روبرتس: "الحرب التي تشهها أمريكا على الإرهاب تهدف إلى خلق إرهابيين هي في أمسّ الحاجة إليهم لكي

²: علي يوسف، الإسلام وتهمة الإرهاب، دار المعارف الحكيمة، بيروت، 2014، ص.ص 16-17.

³: صلاح الدين عامر، المقاومة الشعبية المسلحة في القانون الدولي العام، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة القاهرة، 1975-1976، ص 486.

⁴: محمد عزيز شكري، الإرهاب الدولي: دراسة قانونية ناقدة، دار العلم للملايين، بيروت، 1991، ص 48.

تبرز توسيع حروبها ضد العالم الإسلامي، وإبقاء الشعب الأمريكي في حالة فزع تجعله يتقبل الدولة البوليسية التي تحمهم من تهديد هذا الخطر الأمني الجديد.⁵ إن استقراء مجمل التعريفات الفقهية والأكاديمية تجعل العديد من الباحثين يقومون بتقسيمها إلى قسمين بالنظر إلى المعيار الذي يُعتمد عليه في تحديد طبيعة العمل الإرهابي والغاية منه كأساسٍ للتعريف. وعليه، فالمعيار المادي أو النظرية المادية والتي يقودها كل من ليمنكس و سوتيل، ينصرف إلى تعريف الإرهاب بالعمل الإجرامي المصحوب بالعنف أو الفزع، وهذا يركّز على الوسائل المستخدمة أثناء الترويع دون النظر إلى الغاية منه، مما يؤدي بالضرورة إلى إخراج بعض الأعمال الإجرامية وإفلات الكثير من الجناة من العقاب. كما يهتم المعيار الموضوعي بالتركيز على الغاية والآثار التي قد يحدثها وليس على تحديد الأشخاص المُرتكبين في حدّ ذاتهم، وعلى صعيد هذه النظرية الموضوعية، هناك تعريف كل من الفقهيين فيجينييه وويلنكسون بأنه نتاج العنف المتطرف المنظم والمتصل الذي يُرتكب قصد الوصول إلى أهدافٍ سياسيةٍ معينةٍ وخلق حالةٍ من التهديد العام.⁶

ثانياً: مميزات وخصائص الإرهاب في ظل عدم ضبطه مفهوماتياً

إن عدم وجود تعريفٍ موحدٍ ودقيقٍ للإرهاب قد يؤدي إلى توسيع أو تضيق دائرة الجرائم الإرهابية وفقاً للمصالح السياسية، فهناك غموضٌ وتداخلٌ بينه وبين عدّة مفاهيم أخرى مشابهة له كالمقاومة الشعبية المسلحة وأعمال العنف

⁵ : كروبوسة عمران، الحركات الإسلامية وإشكالية الإرهاب الدولي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر3، 2012-2013، ص6.

⁶ : سطاس نفن، الإرهاب بين صعوبة التعريف وسهولة التوصيف، مجلة المحامون، دمشق سوريا، المجلد الخامس، العدد7-12، ص.2015، ص.485-486.

السياسي المتعلقة بحق تقرير المصير لحركات التحرير الوطني، والجريمة المنظمة وجريمة الإرهاب الدولي العابر للحدود، وحتى إرهاب الأفراد أو إرهاب الدول الذي يمارس العنف تجاه حركات التحرر والحصار الاقتصادي الممارس ضد الدول.⁷

بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، تضاعف اهتمام المجتمع الدولي في مجال مكافحة الإرهاب من خلال قرارات مجلس الأمن وتوصيات الجمعية العامة، كما عُقدت الكثير من الاتفاقيات الدولية من طرف الحكومات المحلية والمنظمات الدولية والإقليمية على حدّ سواء، مثل اتفاقية جنيف لسنة 1937 والاتفاقية الأوروبية لمنع الإرهاب لسنة 1977 والاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب لسنة 1998، وبالرغم من ذلك، إلا أنها كلها لم تحدّد تعريفاً دقيقاً للجريمة الإرهابية⁸. لا يقتصر الإرهاب على أفعال يرتكبها فردٌ أو جماعةٌ لأهدافٍ سياسيةٍ ماديةٍ أو معنويةٍ، بل يشمل حتى الحملات التي تشنّها الدول قصد التدخل في الشؤون الداخلية للدول أو قمع حركات التحرر الوطنية أو فرض اتجاهاتٍ معينة، فهو يشكل بصفةٍ عامةٍ ممارسةً للعنف بأحد صوره المختلفة أو التهديد باستخدامه بطريقةٍ غير قانونيةٍ، كما أنه غير مرتبطٍ بدينٍ ما أو بتنظيمٍ معينٍ أو بسياسةٍ دولةٍ، فالحكومات التي تحاصر دولاً أخرى تمارس شكلاً من أشكال الإرهاب.

⁷ : حسن عثمان علي، الإرهاب الدولي ومظاهره القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام، مطبعة المنارة، أبريل، 2006، ص78.

⁸ : شريف عبد الحميد، الإرهاب الدولي أسبابه وطرق مكافحته في القانون الدولي والفقهاء الإسلاميين: دراسة مقارنة، مجلة كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر مصر، المجلد الثالث، العدد31، ص.2016، ص1119.

ولكن إذا أراد الباحث في هذه الدراسة إيجاد علاقةً تشابكيةً بين ثنائية الإسلاموفوبيا والإرهاب، وجب التطرّق إلى مميزات وخصائص هذا الأخير كالاتي⁹:

- إن محاولة ضبط مفهوم الإرهاب أمرٌ صعبٌ بسبب طابعه الديناميكي والمتغيّر سواءً قبل أو بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 بالنظر إلى اختلاف مصالح الدول.
- هناك عدّة إشكالاتٍ تطرح نفسها أمام تعقّد الظاهرة الإرهابية وفي مقدمتها عدم إمكانية ضبط المصطلح في ظلّ اختلاف الرؤى وغياب الأطر النظرية المحدّدة.
- إن التطوّر المستمرّ للظاهرة الإرهابية عبر العصور أكسبها مرونةً قانونيةً للتلاعب بالمصطلح على حسب تطوّر الوسائل المستخدمة والأهداف المرجوة وهويّة الأطراف المتدخّلة في ارتكاب ذلك السلوك.
- لا يوجد اتفاقياتٌ في القانون الدولي حول تعريف الإرهاب وأنواعه وأسبابه وكيفية مكافحته، الأمر الذي جعله من بين أكثر المواضيع إثارةً للجدل خاصّةً في ظلّ تحولاتٍ مرحلة ما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.
- في إطار تقييم الجهود المحلية والإقليمية والدولية حول تعريف مصطلح الإرهاب من الناحية القانونية، يمكن القول بأنّها باءت بالفشل ولم تستطع أن تخرج عن دائرة التناقضات للفصل بين المفهوم السياسي والقانوني.

ثالثاً: الإرهاب في الطرح الإسلامي والأوروبي

تجدد الإشارة إلى أن الإرهاب من ابتداء الثورة الفرنسية عندما أعلن ماكسيميليان روبسبير بداية عهد الإرهاب في 1793 من خلال أعمال العنف السياسي التي كان يقوم بها دي سان جيست وجان باتيست وغيرهم، حيث قادوا

⁹: حسن عثمان علي، مرجع سابق، ص.ص 59-60.

حملة إعدام وصلت إلى 1366 ضحية في باريس لوحدها. وعليه، فمعظم التعريفات المقدمة في الطرح الغربي تتناسى المعنى اللغوي للكلمة المأخوذ من مفردة (Terrorism)، وأبرز مثالٍ تعريف اتفاقية جنيف لسنة 1937 بأنه تلك الأعمال الإجرامية ضد دولة ما، وتستهدف خلق حالةٍ من الرعب لدى جمهورٍ معيّن، وعرفته وكالة الاستخبارات الأمريكية في 1980 بأنه كل تهديدٍ من أفرادٍ أو جماعاتٍ تعمل لصالح سلطةٍ حكوميةٍ قائمةٍ أو ضدها لتحقيق أغراضٍ سياسية¹⁰.

ومن المفاهيم الإسلامية البارزة ذلك المفهوم الذي قدّمه آية الله الشيخ محمد علي تسخيري مستشار الرئيس الإيراني للشؤون الثقافية بأنه عملٌ يُنقذ لتحقيق أهدافٍ غير إنسانيةٍ، إذ تشمل تهديد الأمن بكل أنواعه وانتهاك الحقوق التي يقرّها الدين باستثناء أعمال المقاومة ضد العدوان والحاكم الطاغية¹¹.

وبهذا حاول علي يوسف الباحث اللبناني تعريفه من منظورٍ إسلامي معتدلٍ، وذلك على أنه الاستبداد الذي يمارسه أفرادٌ أو جماعاتٌ أو دولٌ بغياً على الإنسان في دينه أو دمه أو عرضه أو عقله أو ماله، ويشمل التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق¹²، لذا يرى البعض بأن الترجمة الصحيحة لكلمة (Terrorism) هي الإرعاب، وتعني درجةً عاليةً من الخوف الشديد والهلع الكبير.

وعلى ذلك النحو، يشكّل القرآن والسنة النبوية المصدرين الأساسيين للطرح الإسلامي لمفهوم الإرهاب، فقد اشتمل القرآن الكريم على معانٍ متعددةٍ

¹⁰ : مفتاح علي وآخرون، الإرهاب في الإسلام والغرب، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد الثاني والأربعون، العدد 2، س. 2015، ص 528.

¹¹ : مفتاح علي وآخرون، مرجع سابق، ص 529.

¹² : علي يوسف، مرجع سابق، ص. ص 29-30.

منها قوله تعالى: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"، وقوله: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَعَجَزَ أَوْهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)¹³. وبهذا فإن الطرح الغربي يحاول أن يجعله لصيقاً بالإسلام، ولم يأت هذا الاعتقاد عبثاً، بل نتيجة نظرة الآخر المأخوذة من الفهم الخاطئ أو النية السيئة التي يضمهرها.

إن مفهوم الإرهاب في القرآن الكريم مناقضٌ تماماً لمفهومه في السياق الغربي الذي ينتهج فكراً يصبّ على أنه العنف والإكراه ضد الأبرياء الآمنين لإكراههم، بينما مفهومه القرآني هو إعداد العدة لإخافة العدو منعاً للقتال لقوله تعالى¹⁴: "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ"، وقوله: "وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ".

2- مفهوم الإسلاموفوبيا:

منذ أحداث 11 سبتمبر 2001، أصبحت ظاهرة الإسلاموفوبيا من الظواهر المنتشرة بكثرة في أوروبا، سواءً من خلال منظومة القوانين التي تنتهك حقوق المسلمين أو انتقادهم إعلامياً بدعوى الديمقراطية وحرية التعبير.

أولاً: السياق التاريخي للإسلاموفوبيا

أُستُخدم مصطلح الإسلاموفوبيا لأول مرة في سنة 1910 بواسطة مجموعة من المستشرقين المتخصصين في الدراسات الإسلامية، ومن بينهم المفكر

¹³: سورة المائدة الآية 32، وسورة النساء الآية 93.

¹⁴: سورة الأنفال الآيات 59، 61.

الفرنسي آلان كيليان الذي ربطها بالتحيز وعدم الموضوعية والكرهية ضد الإسلام¹⁵.

كما تشير دراسات أكاديمية أخرى إلى أن النشأة الأولى لاستخدام المصطلح في الأدبيات الغربية تعود إلى عشرينيات القرن الماضي، حيث استخدمه المستشرق البلجيكي هنري لامنس في سياق كتاب له عن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما ورد أيضاً في كتاب للرسام المستشرق الفرنسي إيتيان ديني بعنوان "الشرق كما يراه الغرب". ومع ذلك فمن المعلوم بدهاء أن ظهور المصطلح عادةً ما يكون متأخراً زمنياً عن وجوده الواقعي، وهو أمرٌ يمكن تبريره بمجرد النظر إلى الرسومات التي وصفت المسلمين بالشياطين في واجهات الكنائس الأوروبية في العصور الوسطى¹⁶.

وعلاوةً على ذلك، فقد شكّل الإسلام منذ ظهوره نقطة تحولٍ في تاريخ البشرية وأبدى فاعليةً تجاوزت ما هو معروفٌ عن بقية الأديان والحضارات الإنسانية، فهو ليس ديناً فحسب إنما ثقافةٌ ومنهج حياةٍ ونمط حضارةٍ وسياسةٍ. وعلى هذا الأساس، فقد كان ولا يزال يُنظر إليه في الدوائر الثقافية والحضارية والدينية المغايرة نظرة شكٍّ وتوجسٍ، وذلك نظراً لما يتمتع به من قوة التأثير الأمر الذي دفع الغرب إلى استمهابه منذ تخطيه مدائن كسرى ووصوله إلى بلاد الصين شرقاً وحدود روما شمالاً وتأسيس حضارة الأندلس في أوروبا قروناً من الزمن¹⁷.

¹⁵ : الخنيزي نجيب، الإسلاموفوبيا بين الشعبوية الغربية وحركات الإسلام السياسي، نشر في: 2021/7/1، تم

الإطلاع في: 2022/4/12، <https://www.alfaisalmag.com/?p=21197>

¹⁶ : الرجال أسماء، الإسلاموفوبيا، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، القاهرة، 2010، ص 2.

¹⁷ : عطوات عبد الحاكم، إشكالية اندماج المهاجرين المسلمين في دول الإتحاد الأوروبي وعلاقتها بتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا: دراسة حالة فرنسا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة ورقلة، 2019-2020، ص 77.

أدى قيام جمهورية إيران الإسلامية في سنة 1979 من جهة، وتفكك الإتحاد السوفييتي مع بداية سنة 1991 من جهةٍ أخرى، إلى بداية الحديث عن العدو الإسلامي الأخضر مكان العدو الشيوعي الأحمر في الخطاب الإعلامي والأكاديمي الغربي، أما التاريخ المفصلي الذي أدى إلى تفاقم الوضع تجاه المسلمين فهو أحداث 11 سبتمبر 2001 التي رسّخت من مفهوم الإسلاموفوبيا بشكلٍ أكبر.

ثانياً: الإسلاموفوبيا لغةً واصطلاحاً

يتكون مصطلح Islamophobia من الناحية اللغوية من كلمتين، الكلمة الأولى هي Islam ومعناها دين الإسلام، والكلمة الثانية هي Phobia وهي مشتقةٌ من اللفظة اليونانية Phobos وتعني الرهاب والخوف المرضي الشديد وغير المبرر وكذا الرعب من شيءٍ أو مكانٍ أو موقفٍ ما¹⁸.

كما يعرفها قاموس لاروس بأنها العداء تجاه الإسلام والمسلمين¹⁹، فهي تتعدى مفهوم الخوف المرضي لتشمل دلالات التعصب والميز ضد المسلمين على أساس دينهم، وقد قام مقرّر الأمم المتحدة في تقريره الذي رفعه إلى الدورة السادسة لمجلس حقوق الإنسان في سنة 2006 بتعريفها على أنها تعبيرٌ عن مشاعر العداء والكراهية التي لا أساس لها تجاه غالبية المسلمين²⁰.

¹⁸: Ingrid Ramberg, L'islamophobie et ses conséquences pour les jeunes, Conseil de l'Europe, Budapest, juin 2004, p6.

¹⁹: Larousse, l'Islamophobie, le 12/4/2022, http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/islamophobie/186470?q=ISLAMOP_HOBIE#1092781

²⁰: حفظاوي سعيد، ظاهرة الإسلاموفوبيا في التصور الغربي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة، المجلد التاسع، العدد 1، س.2016، ص.ص 180-181.

في حين يعرفها الباحث السويدي في الأديان ماتياس غارديل بأنها الإنتاج الاجتماعي للخوف والتحامل على المسلمين، بما في ذلك الأفعال الرامية لمهاجمة وعزل أشخاصٍ بناءً على فرضية ارتباطهم بالدين الإسلامي. ويعرفها الباحث روديجي بأنها تغذية كراهيةٍ عنصريةٍ ضد الشعوب والأفراد ذات الأصول الشرق أوسطية خاصةً العربية الإسلامية وكذا الشعوب الجنوب آسيوية²¹.

خُصَّ المجلس الأوروبي في دراسةٍ له في سنة 2005 بعنوان "الإسلاموفوبيا وتأثيرها على الشباب" بأن الإسلاموفوبيا تعرّف على أساس اعتبارها التخوف والأحكام المسبقة التي تصدر تجاه الدين الإسلامي والمسلمين، سواءً تمّ التعبير عن ذلك بالأشكال والمظاهر اليومية للعنصرية أو غيرها، حيث تشكّل كذلك انتهاكاً لحقوق الإنسان وخطراً على تماسك المجتمعات الغربية. وفي نفس السياق، جاء تعريف مكتب منظمة الأمن والتعاون للمؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان التابع لمنظمة اليونيسكو يصبّ في نفس المجرى²². إن هذه الظاهرة لم تحدث بعفويةٍ في المجتمع الغربي، وذلك لأن هناك أطرافاً مستفيدةً من تسويق نظرية مصدر الخطر الإسلامي ونظرية صدام الحضارات لصامويل هندغتون، بحيث تورط سياسيون في التنظير للبحث عن عدوٍ جديدٍ للترجيع لخطر الإسلام.

المحور الثاني: دور الإرهاب الدولي في تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا

انطلاقاً من السياق التاريخي لظهور مصطلح الإسلاموفوبيا، تفترض بعض المحاولات النظرية جدلية تفكيك العلاقة بين ثنائية الإرهاب والإسلاموفوبيا لأن

²¹: عطوات عبد الحاكم، إشكالية اندماج المهاجرين المسلمين في دول الإتحاد الأوروبي وعلاقتها بتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا: دراسة حالة فرنسا، مرجع سابق، ص.74-75.

²²: Chris Allen, Towards a Working Definition of Islamophobia: A Briefing Paper, University of Birmingham, United Kingdom, 2017, p4.

فكرة العداء للإسلام أقدم بكثيرٍ. وفي المقابل، يحاول الكثير من السياسيين والأكاديميين والإعلاميين نفي ذلك الافتراض، في ظلّ وجود مجموعةٍ من الأسباب.

1- الأسباب الواقعية والمحددات النظرية لظاهرة رهاب الإسلام:

يستطيع المسار التاريخي والنظري أن يشرح البداية الحقيقية للعداء بين العالم الغربي والإسلامي بالاستناد إلى نظرية المؤامرة لتكريس الصورة السلبية عن المسلمين والتناقض الصّارخ بين المنظومتين كمنهجين فكريين مختلفين على الرّغم من أنهما يصدران من مصدرٍ وناموسٍ إلهي واحدٍ، بحيث يتناول هذا المسار الجذور التاريخية لذلك بدايةً من الحروب الصليبية إلى الصناعة الإعلامية للمصطلح بعد 11 سبتمبر 2001، كما يتناول، بالموازاة، الإطار الفكري لأهم المقاربات النظرية التي ترجمت كل تلك السياسات والممارسات العدائية الإعلامية والجماهيرية وكذا الحروب الاستباقية التي تقودها دولٌ بأكملها.

أولاً: الإسلاموفوبيا من الحروب الصليبية إلى الصناعة الإعلامية

إن الدافع الديني كان حاضراً بقوةٍ خلال الحروب الصليبية، وهو يظهر في إعلان البابا أوربان الثاني عن بداية الحرب على الإسلام (1096-1292) في العصور الوسطى، وذلك بعد جمعه لفرسان الإقطاع الأوروبيين، ودعوتهم إلى التكتل لمحاربة المسلمين مستعيناً بالكنيسة الكاثوليكية لتعبئة أوروبا لهذه الحرب، وذلك بالأخص بعد تجاوز الإسلام حدود الجزيرة العربية أثناء الفتح الإسلامي²³.

²³: المطوي محمد، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1982، ص 27.

بعد الفتح الإسلامي وبداية الاحتكاك بين العالم الأوروبي والإسلامي، بدأ الالتباس والفهم الخاطئ للثقافة الشرقية، ثم تركزت هذه الظاهرة أيضاً في مرحلة الاستكشافات الأوروبية التي تمخضت عنها ظاهرة الاستعمار، كما ارتبط سوء الفهم ذلك بعدم التفرقة بين ما هو من صلب الدين وما هو من صنع التاريخ والظروف، وبهذا بدأ الغرب المعاصر يربط الإسلام بكل مفاهيم العنف والإرهاب²⁴.

إن الصورة النمطية التي تحاول أن ترسمها وسائل الإعلام الأوروبية لترويج العنف في كل ما هو إسلامي، ليست وليدة العصر وإنما تأثرت بسياق تاريخي حوّلت أحداث 11 سبتمبر 2001 إلى صناعة إعلامية محضّة. ويُقدّم مصطفى الدباغ عرضاً لثلاثة مراحل، المرحلة الأولى هي تصنيف جميع المسلمين والعرب لمرجعيتهم الثقافية بغضّ النظر عن مرجعيتهم الدينية، والمرحلة الثانية هي توصيف الأمة الإسلامية بالإرهاب لتشكيل صورة نمطية عالمية عنها خاصة بعد ظهور الإسلام السياسي، وتُعزز المرحلة الثالثة والأخيرة تعميق العداء بالتنظير لهذا التوجه الفكري بعد الحرب الباردة²⁵.

ثانياً: المقاربات النظرية التفسيرية لثنائية الإرهاب والإسلاموفوبيا

إن عدم وجود تعريف متفقٍ عليه حول الإرهاب الدولي يترتب عنه كشف العدد الهائل للإرهابيين في الحياة العادية كالدول والإعلاميين والأفراد في الشرق والغرب، ويؤكد فرضية المقاربة الجيوسياسية التي تنظر إلى هذا المصطلح من خلال التعاون مع الجماعات القابلة لاستخدام العنف لنشر أفكارها، وذلك

²⁴: حفظاوي سعيد، مرجع سابق، ص 181-182.

²⁵: الدباغ مصطفى، الإسلاموفوبيا: عقدة الخوف من الإسلام، دار الفرقان، الأردن، ط. 1، 1998، ص 89.

لشحنة الحرب على الإرهاب وتحقيق مكاسب أمنية وسياسية واقتصادية، وهذا فالمقاربة الجيوسياسية تحتاج إلى إطار نظري آخر لتدعيم السياق الفكري. تعتبر أحداث 11 سبتمبر 2001 المتغير الوسيط الذي جعل العلاقة بين ثنائية الإرهاب والإسلاموفوبيا أكثر تماسكاً، وهذا على غرار الدور الذي لعبه المستشرقون الذين تعمّدوا تشويه صورة الإسلام، وعلى رأسهم برنارد لويس في "جذور الغضب الإسلامي"، والذي رأى بأن الإرهاب يكمن في صميم العقيدة الإسلامية، فهو أول من تحدث عن صدام الحضارات ثم استعاره منه هندغتون²⁶. لقد أضاف علم اللسانيات سلاحاً جديداً في خدمة الإعلام الغربي لابتكار مصطلحات جديدة، ومرونة استبدالها بمصطلحاتٍ بديلةٍ بما يُتيح الترويج لجميع الأطر النظرية التي تمت الإشارة إليها من قبل، وهكذا تعاقبت المصطلحات التي تصب في ذات الصدد كالنظام العالمي الجديد، ومشروع الشرق الأوسط الكبير وبالأخص المشاريع الأورومتوسطية كالإتحاد من أجل المتوسط وسياسة الجوار الأوروبية، بحيث يصبح الاعتراض على هذه المصطلحات هو معاداةً للغرب بأكمله.

بعد دراسة فرانسيس فوكوياما حول نهاية التاريخ في سنة 1989 والقضاء على كل الحضارات العالمية التي تنافس الديمقراطية الليبرالية بما فيها الحضارة الإسلامية، جاءت عدّة نظرياتٍ حاولت تفسير مظاهر العداء للمسلمين وربطهم دائماً بظاهرة الإرهاب، ومن أهمها نظرية صدام الحضارات في سنة 1993، والتي

²⁶ : بوقنور إسماعيل و قسوم سليم، الإسلاموفوبيا: بين الصور النمطية والسياقات المنتجة، (بوستي توفيق وآخرون، كتاب جماعي بعنوان: الإسلاموفوبيا في أوروبا الخطاب والممارسة). المركز العربي الديمقراطي، برلين، 2019، ص.ص 37-42.

بشرت بصدامٍ حتي بين الحضارة الغربية الأنجلوساكسونية وبين الحضارة الإسلامية، بحيث تحمل هذه النظرية أفكاراً خطيرةً تعبّر عن اتجاهٍ فقهيٍّ محض²⁷.

2- أسباب تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا في أوروبا:

إن ظاهرة الإسلاموفوبيا هي موضوعٌ قديمٌ متجدّدٌ، قديمٌ قدم الدين الإسلامي ومتجدّدٌ من حيث الطرح الإعلامي والتناول الأكاديمي والسياسي ليس فقط بعد 11 سبتمبر 2001.

أولاً: دور أحداث 11 سبتمبر 2001 في إذكاء ظاهرة الإسلاموفوبيا

إن عملية استقراء جميع القراءات لتفسير مرجعية الممارسات العدائية تجاه الإسلام، يقود الباحث للحديث عن مجموعةٍ من المسببات ذات الطابع السياسي الأكاديمي والإيديولوجي والسيكولوجي. وبناءً على ذلك، فقد أصبح من أولويات الفقه الغربي الاستناد الأكاديمي إلى أحداث 11 سبتمبر 2001 التي أثرت بقوةٍ على حقل العلاقات الدولية، وكانت من بين الأسباب الفاعلة في إذكاء ظاهرة كره الأجانب المسلمين، بحيث أن صداها في أوروبا كان أكثر منه في قارة أمريكا بالنظر إلى القرب الجغرافي، ومن هنا فإن تلك الأحداث قد أثرت عميقاً على النشاط الإرهابي بشكلٍ عامٍ سواءً المعتدل منه أو المتطرف²⁸.

إن تحليل ظاهرة الإسلاموفوبيا بتلك الهجمات كحدثٍ إستراتيجيٍّ يعتبر غير كافٍ، وذلك لأنه يتجاهل القراءات الأخرى للمصطلح وكذا الخلفيات التاريخية والجيوسياسية بالأخصّ. ومن هذا المنطق، تفترض القراءة السيكولوجية الخوف من الإسلام انعكاساً لمشاعر سلبيةٍ عميقةٍ داخل وعي وسيكولوجية الفرد الغربي

²⁷ : أبو رمان محمد، ما بعد الإسلام السياسي: مرحلة جديدة أم أوهام إيديولوجية، مؤسسة فريدريش إيبيرت، الأردن، 2018، ص.ص 39-44.

²⁸ : كروبسة عمراني، مرجع سابق، ص 6.

الأوروبي، وهي تعبيرٌ عن تحيزٍ حضاري وثقافي ضد الإسلام عموماً. كما تربط القراءة الإيديولوجية تصاعد الإسلاموفوبيا مؤخراً في أوروبا ببعض التغيرات التي لحقت بالمجتمعات الإنسانية، وعلى رأسها ظهور الإسلام السياسي الذي أنتج الفكر المتطرف بسبب الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979، وقد تحوّل المصطلح إلى فكرةٍ أساسيةٍ وحاضرةٍ بقوةٍ في الحقل الدلالي للخطاب السياسي المعاصر. واستطاع الباحث شيريل بينارد أن يصنّف الأفكار الإسلامية إلى أربع فئاتٍ أساسيةٍ أولهم الأصوليون المتطرفون الذين يرفضون القيم الديمقراطية، والتقليديون وهم أقل تطرفاً من الفئة السابقة، والحداثيون الذين يدعون إلى تحديث الإسلام بشكلٍ يتماشى مع العصر الحالي، وأخيراً العلمانيون الذين يفسلون بين السلطات الدينية وسلطات الدولة²⁹.

ثانياً: الخلفيات التاريخية والجوسياسية للإسلاموفوبيا

إن العقل الأوروبي ما زال يحمل آثار الغزو الإسلامي لأوروبا وإن كان التبرير الظاهري لهذا العداء يدخل في إطار الردّ على التهديدات الإرهابية التي أصبحت تستهدف القارة بشكلٍ أكبر في ظل وجود خلفيةٍ تاريخيةٍ وجوسياسيةٍ للمصطلح، بحيث يعتقد الأوروبيون بوجود إرثٍ تاريخيٍ مشتركٍ مع الحضارة الإسلامية من خلال حوض البحر الأبيض المتوسط، ومن هنا فالخلفيات التاريخية تعود إلى أيام الإمبراطورية الرومانية بعد توسع سلطة الحضارة الإسلامية الموحّدة لجميع الثقافات المنتمية إليها بعد سلسلة الغزوات الإسلامية المتتابعة وفتح الأندلس.

²⁹: Cheryl Benard, Civil Democratic Islam: Partners, Resources, RAND, United States of America, 2003, p.p 25-37.

ومن ثم فإن الغرب يتخوّف من احتمالية توحيد والتقاء الحركات السياسية الإسلامية عبر شمال إفريقيا ودول المشرق في ظل النمو المتصاعد للعامل الإسلامي في منطقة البلقان هذا من ناحية. ومن ناحيةٍ أخرى، فقد لعب المستشرقون الدور الأكبر في رسم السياسات الأوروبية العدائية تجاه المسلمين، وتنامي الشعور بالكراهية والإكزونوفوبيا خاصةً تجاه المهاجرين منهم³⁰.

بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، تصاعد الفكر الإسلامي المتطرف بدعم من القوى العالمية، وتركّز بشكلٍ أكبر في أوروبا من خلال الهجمات الإرهابية في العديد من العواصم الأوروبية كمدريد سنة 2004 ولندن سنة 2005 وباريس في جانفي ونوفمبر 2015 أو ما عُرف بشارلي إيبدو، الأمر الذي أثار على الرأي العام الأوروبي حول تواجد الجاليات المسلمة، وبالأخصّ لما كان من بين المتورطين أشخاصاً من أصولٍ مغاربيةٍ بالرغم من أن تنشئتهم الأوروبية³¹.

والملاحظ من ذلك، بأن خطاب الحرب على الإرهاب ومكافحته، سواءً من خلال الدساتير المحلية أو عن طريق معاهدات القانون الدولي، قد أُستخدم كذريعةٍ للتدخلات الغربية الأوروبية أو الأمريكية في كلِّ من ليبيا وسوريا منذ التناول الإعلامي للظاهرة لجعل كل ما هو إسلامي إرهابي، وذلك بدعم الإرهاب سياسياً بدخول معترك السياسة ومادياً عن طريق دفع الفدية.

المحور الثالث: تأثير ظاهرة الإسلاموفوبيا على ظهور الإرهاب المضادّ في أوروبا
إن التنامي المتزايد لرهاب الإسلام في أوروبا أدّى إلى بروز ما يُسمى بظاهرة الإرهاب المضادّ، والمتمثل في الإرهاب اليميني المتطرف ضد المسلمين المقيمين

³⁰: حفطاوي سعيد، مرجع سابق، ص.ص 182-183.

³¹: عطوات عبد الحاكم، تأثير ظاهرة الإسلاموفوبيا على اندماج المهاجرين المسلمين في الدول الأوروبية، مجلة دفاتر السياسة والقانون، جامعة ورقلة، المجلد الثاني عشر، العدد 1، ص. 2020، ص 207.

في أوروبا كنتيجة حتمية وردّة فعلٍ عن إرهاب القاعدة وداعش الموجّه ضد المجتمعات الغربية الأوروبية، بحيث أن هذه المساحة المتداخلة بين المصطلحين أفرزت علاقة تأثيرٍ وتأثرٍ فيما يخصّ أهداف هذه الهجمات الإرهابية لكلا الطرفين، وكذلك درجة توظيفها لوسائل الاتصال الحديثة.

1- الخطاب الأوروبي تجاه الإسلاموفوبيا:

انعكس عن الصعود المتزايد لظاهرة الإسلاموفوبيا في أوروبا نتيجةً للأسباب التي تمّت الإشارة إليها تداعياتٌ سلبيةٌ على الحياة الاجتماعية للمهاجرين المسلمين في القارة لا بل حتى الأوروبيين المُعتنقين للإسلام، بحيث أنهم أصبحوا عرضةً لجملةٍ من السياسات الحكومية الرسمية أو غير الرسمية في هذه المجتمعات.

أولاً: واقع نشاط الجاليات المسلمة في أوروبا

شهدت مرحلة الستينيات من القرن 20م نشاطاً لافتاً للجالية المسلمة، سواءً الذين يهاجرون إليها أو من بين مواطنها الذين دخلوا الإسلام فيما بعد، فجاء الجيل الأول منهم بعد إغراءاتٍ كثيرةٍ قُدمت إليهم لسدّ النقص في اليد العاملة، وبعد تنامي ظاهرة الإسلام السياسي بعد الثورة الإسلامية في إيران 1979 وأحداث 11 سبتمبر 2001، أصبحت الجالية المسلمة تجتاز مرحلةً مثيرةً على جميع الأصعدة الثقافية والفكرية، وبدأت تستقطب أحزاب اليمين المتطرّف أثناء الانتخابات، وتوجّه صوبها أصابع الاتهام.

لقد زاد الاهتمام بالظاهرة الإسلامية في أوروبا بسبب حدوث تغييرٍ نوعي كبير في الوجود الإسلامي، وكان من أبرز مظاهره الانتقال من الهجرة المؤقتة إلى الهجرة الدائمة، وتغيّر نوعية المهاجرين من العمال البسطاء إلى الكفاءات الطّبية

والهندسية، إضافةً إلى دخول أعدادٍ كبيرةٍ من الأوروبيين إلى الإسلام، وتشير آخر الإحصائيات إلى أكثر من نصف مليون شخص³².

إن إشكالية اندماج المسلمين في أوروبا عمليةٌ معقّدةٌ مرتبطةٌ بأسبابٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ وتاريخيةٍ، فالمسلم في أوروبا ما زال يُنظر إليه غريباً يُستعصي عليه الاندماج لأنه من بيئةٍ مختلفةٍ، وأنه لا يستطيع أن يتعايش مع بيئةٍ مسيحيةٍ علمانيةٍ، وذلك على اعتبار أن السياسات المتبعة من طرف تلك الدول قصد دمجهم تعتبر سياساتٍ غير جديّةٍ ولا تعبّر عن إرادةٍ سياسيةٍ حقيقيةٍ.

ثانياً: ردّة فعل الخطاب الرسمي الأوروبي تجاه المسلمين

توالى الحملات ضد الرموز الإسلامية، حيث شهدت السنوات المتتالية من 2014 إلى 2017 مطالباتٍ من اليمين المتطرف أو حتى البعض من بقية أحزاب اليمين واليسار، كما اتّسمت دوائر صنع القرار في القارة بطابعٍ إسلاموفوبيٍّ من خلال الخطاب السياسي الداعي إلى حظر الملابس الإسلامية كالنقاب وملابس السباحة البوركيني، كما يجب ذكر مثال محكمة العدل الأوروبية التي أقرت بحظر ارتداء الرموز الدينية بالنسبة لموظفيها في مارس 2017³³.

إن كل هذه القرارات الصادرة عن المسؤولين الأوروبيين يدل على الانتشار الواسع لظاهرة رهاب الإسلام، سواءً على مستوى القمة المتمثلة في السلطات والتي سعت لوضع إطارٍ قانونيٍّ صارمٍ، أو المؤسسة الدينية أي الكنيسة

³² : ناجي عبد النور، الجاليات المسلمة في أوروبا ومدى اندماجها في العمل السياسي في ظل صعود الأحزاب اليمينية المتطرفة، (بوستي توفيق وآخرون، كتاب جماعي بعنوان: الإسلاموفوبيا في أوروبا الخطاب والممارسة)، المركز العربي الديمقراطي، برلين، 2019، ص.ص 151-152.

³³ : عطوات عبد الحاكم، إشكالية اندماج المهاجرين المسلمين في دول الإتحاد الأوروبي وعلاقتها بتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا: دراسة حالة فرنسا، مرجع سابق، ص 133.

الكاثوليكية أو حتى القاعدة، والمتمثلة في المجتمع الذي نُقلت له صورةً نمطيةً عن الإسلام. وتجدر الإشارة أنه لم يتم الاكتفاء بسنّ قوانينٍ مُجحفةٍ بحقّ المسلمين المقيمين في الدول الأوروبية، وإتّما كانت هناك محاولاتٌ من خلال الخطابات الرسمية ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي لسنّ تشريعاتٍ ضدهم على غرار استفتاء برلمان المجر الرفض لحصّتهم المخصّصة من اللاجئين المسلمين والبالغة 2000 لاجئ³⁴.

2- و وقع الإرهاب المضادّ في أوروبا تجاه الإسلام:

إنّ القصد من الإرهاب المضادّ كل ما يصدر من أحزاب اليمين المتطرف في القارة الأوروبية ضدّ الإسلام والمسلمين، فالعناصر الإرهابية اليمينية تحاول تبرير هجماتها باعتبارها ردّة فعلٍ مباشرةٍ عن الإرهاب الإسلامي.

أولاً: بروز أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا

تعرّف أحزاب اليمين المتطرف بأنها هو كل القوى السياسية التي تنتقد السياسات الاقتصادية والاجتماعية دون مهاجمة أسسها، وتُعرّف أيضاً بوصفها عائلةٌ إيديولوجيةٌ تشترك نقاطاً أهمها النزعة القومية والعرقية وكره الأجانب ومعارضة الديمقراطية ورفض المساواة الفردية كما يرى هانز جورج بيترز³⁵.

يعتقد الإرهاب اليميني أنّ الكثير من النزاعات الدينية تقوم على تصوير الآخر على أنه الشرّ بل هو الشيطان في حدّ ذاته، ومن هنا، يجب على الحرب أن

³⁴ : لكامين خيرة، ظاهرة اللجوء في أوروبا ثنائية التهديد والأمن: دراسة في تنامي الإسلاموفوبيا، (بوستي توفيق وآخرون، كتاب جماعي بعنوان: الإسلاموفوبيا في أوروبا الخطاب والممارسة)، المركز العربي الديمقراطي، برلين، 2019، ص73.

³⁵ : عطوات عبد الحاكم، "تأثير ظاهرة الإسلاموفوبيا على اندماج المهاجرين المسلمين في الدول الأوروبية"، مرجع سابق، ص204.

تؤدي إلى إبادته التامة على مستوى العالم، وذلك على حدّ تعبير المفكر الفرنسي بيار كونيسا. وكنتيجةً لذلك، فالذي ينقذ العمليات الإرهابية ضد التجمعات المسلمة في أوروبا يرى بأن المسلمين يمثلون تهديداً للنقاء المجتمعي، إذ أن القيم الإسلامية لا تتفق بأي حالٍ من الأحوال مع قيم الحرية والتسامح، فيتعيّن التخلّص من هذا الوجود الذي سيُعد حينها بمنزلة الرسالة المقدسة³⁶.

تشهد الدول الأوروبية حالةً من النزوع نحو التطرف تجلّت ملامحها في الصعود السياسي لليمين المتطرف، وقد يرجع تفسير هذه الظاهرة إلى طبيعة الأنظمة السياسية وهيكل الفرص الخطابية المتاحة، إذن فالشعور المتنامي لدى هذه المجتمعات بوجود تهديداتٍ فعليةٍ لها ليست تجاه المهاجرين القادمين من الضفة الجنوبية للمتوسط، وإنما كذلك من خلال الشعور بالتراجع الاقتصادي، وتراجع الثقة في مكانة الدولة.

لقد صاغت القوى والأحزاب اليمينية خطاباً راديكالياً نمطياً، وحمّلت المسلمين مسؤولية الأزمات التي تمرّ بها، ويأتي في مقدمتها حزب "الجمهة الوطنية الفرنسي"، وترأسه حالياً ماري لوبان، وهو أقدم أحزاب اليمين الأوروبي التي تتبى خطاباً شعبوياً عدائياً ضد المهاجرين، وترفض المظاهر الإسلامية كالحجاب والمآذن، لا بل يصل إلى حدّ المطالبة بإعادة المهاجرين إلى بلدانهم الأصلية، وذلك على غرار حزب "البديل من أجل ألمانيا" الذي يعتمد على برنامجٍ سياسيٍ يقترح حظر رموز المسلمين وتقييد ممارساتهم الدينية، وكذا حزب "الاستقلال

³⁶ : بسيوني محمد، محفزات الإرهاب المضاد تجاه المسلمين في الغرب، نشر في: 2017/7/2، تم الإطلاع في:

<https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/2949/>، 2022/4/16

البريطاني" الذي يطالب بمراقبة صارمة للهجرة ويرفض المجتمع متعدد الثقافات³⁷.

ثانياً: أبرز هجمات اليمين المتطرف بعد أحداث 11 سبتمبر 2001

لقد طغت عدّة مداخل تفسيرية لليمين المتطرف في أوروبا منها التفسيرات الاقتصادية والسياسية مع قليل الاهتمام بالأبعاد الثقافية، بحيث لم يتم الربط أبداً بينه وبين رهاب الإسلام، وذلك بالتزامن مع ظهور ما يسمى بالإرهاب المضادّ كردّة فعلٍ عن الممارسات الإرهابية الإسلامية وعلى وجه التحديد في المرحلة ما بعد 11 سبتمبر 2001. وقد بدا هذا الطرح يجد له تأييداً شعبياً مقابل فشل اليمين واليسار التقليديين، وهو ما مكّن جون ماري لوبان الرئيس السابق "للجهة الوطنية الفرنسي" من صعود الدور الثاني في رئاسيات 2002 في فرنسا رغم أنه كان يؤيد كل ما كان يقوم به النازيون الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية³⁸.

شهدت العمليات الإرهابية لليمين المتطرف أو ما يصطلح عليه الباحث بالإرهاب المضادّ تصاعداً جلياً وصريحاً في كلّ من أوروبا الغربية وأميركا الشمالية وأستراليا، وذلك وفقاً لتقرير مؤشر الإرهاب العالمي الذي نُشر في سنة 2018، والذي أفاد بأن 66 من المسلمين قد قُتلوا في هجماتٍ بين سنوات 2013-2017 من طرف أشخاصٍ وجماعاتٍ من أصحاب المعتقد اليميني المتطرف ومن القومية البيضاء كنتيجة حتميةٍ للخطاب الرسمي لصانع القرار في أوروبا، هذا

³⁷ : مديرية الدراسات الإستراتيجية، صعود اليمين المتطرف في أوروبا، سلسلة البحث الراجع، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق بيروت، العدد 35، س. 2019، ص. ص 14-17.

³⁸ : زغوني رايح، صعود اليمين المتطرف في أوروبا: تعبير عن عداء سياسي أم مجتمعي للإسلام، (بوستي توفيق وآخرون، كتاب جماعي بعنوان: الإسلاموفوبيا في أوروبا الخطاب والممارسة). المركز العربي الديمقراطي، برلين، 2019، ص. ص 141-145.

بغض النظر عن دور المحدّات الإعلامية والأكاديمية في رسم صورة ذهنية ونمطية سلبية عن الإسلام، بحيث أن سنة 2017 لوحدها عرفت حوالي 47 هجوم 12 منه كان فقط في المملكة البريطانية المتحدة، وكذا اعتقال 10 أشخاص يمينيين خطّطوا لقتل المسلمين في سنة 2018.³⁹

تُعد أوروبا مركز الفاشيين والنازيين قبل الحرب العالمية الثانية، وكذلك الفاشيين والنازيين الجدد الذين تبنّوا نفس أفكارهم فيما بعد، كما أنهم وجدوا في المسلمين الذريعة للترويج لمبادئهم السياسية والفكرية علانيةً. ومن هنا، يُذكر تفجير سوق تشيركيزوفسكي الذي يرتاده المهاجرون بكثرة في 21 أوت 2006 في موسكو مؤدياً إلى إسقاط 14 قتيلاً و 50 جريحاً، وكذلك مجزرة أوسلو التي أدت إلى قتل 77 شخص وجرح 151 في هجوم نقّده النرويجي أندرس بيرينغ بريفيك في 22 جويلية 2011، وكذا هجوم مدرسة ترولتهتان السويدية الذي نقّده المسعى أنتون لوندين بترسون مؤدياً إلى قتل معلمٍ من أصلٍ عراقي وتلميذٍ من أصلٍ صومالي، وهجومٍ في لندن خلال عملية الدهس التي قام بها دارين أوزبورن ضدّ مصليين قرب مسجدٍ في منطقة فنزيري بارك في 18 جوان 2017.⁴⁰

تطرح التحليلات المختلفة للإرهاب المضادّ بسبب صعود التيارات اليمينية المتطرفة في القارة الأوروبية ورقة توظيف أحداث 11 سبتمبر 2001، وكيف أنها خلقت نوعاً من المناخ اللأمني وفقاً لقنوات الإعلام الأوروبي التي تجعل من هذه القضية مادّتها الأولى التي لا تحاول تغييرها في ظلّ تزايد عدد المهاجرين واللاجئين المسلمين غير الشرعيين.

³⁹ : داغر إيليانا، جماعات اليمين المتطرف تاريخ طويل من الهجمات الإرهابية الدموية، نشر في: 2019/3/15،

تم الإطلاع في: 2022/4/16، <https://www.independentarabia.com/node/12761/>

⁴⁰ : مديرية الدراسات الإستراتيجية، مرجع سابق، ص.ص 27-28.

الخاتمة:

إن التحليل والتركيب في ثنائية الدراسة يقود إلى التأكيد بأن الإسلاموفوبيا ظاهرةً تشكلت في المجتمع الغربي بناءً على مسارٍ ملتبسٍ يتداخل فيه السياق التاريخي بالممارسة الإرهابية باسم الإسلام، وكذا المقاربة الجيوسياسية التي تفترض بأن هذه الظاهرة ما هي إلا أداةٌ إيديولوجيةٌ يستخدمها الأوروبيون بالأخص كلما اقتضت الحاجة لتحقيق أهدافهم الإستراتيجية ومصالحهم الاقتصادية. ومن هذا المنطلق، يوظف صانع القرار في أوروبا عدّة آلياتٍ أهمها التدخلات الدولية ومكافحة الإرهاب الدولي والدعوة إلى العلمانية والتجديد الديني، وذلك على ضوء تصاعد قوى اليمين المتطرف وظاهرة الإرهاب المضاد.

النتائج:

بعد تحليل ظاهرة الإرهاب والإسلاموفوبيا دراسةً علميةً وموضوعيةً وتحديدًا بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، يمكن استخلاص ما يلي:

- تنطلق الدراسة من افتراضٍ مركبٍ حول أن مفهوم الإسلاموفوبيا لا يبتعد عن مفهوم الإرهاب الدولي في الطرح الأوروبي، فمن جهةٍ، ترتبط الإسلاموفوبيا بتنامي النشاطات الإرهابية، ومن جهةٍ أخرى، يُغذي اليمين المتطرف الإرهاب المضاد.
- وجود تداخلٍ بين المفهومين في السنوات الأخيرة، بحيث أصبح من الصعب الفصل بينهما، خاصةً وأن الطرح الأوروبي للإرهاب يكاد يقصره على المسلمين متجاهلاً مصادر الإرهاب الأخرى.
- إن الربط بين الإرهاب والإسلاموفوبيا جزء من علاقةٍ جدليةٍ بين ما هو مجسّدٌ من حيث التطبيق عى أرض الواقع وما هو نظري مدوّنٌ في الدساتير والاتفاقيات.

- هناك تعمّد صريحٌ لمحاولة الإساءة إلى الإسلام بكلّ الطرق وخاصةً الإعلامية منها، والتي تعدُّ من أكثر المؤسسات إسهاماً في صياغة الصورة الذهنية والنمطية في توجيه العقل الجماعي الأوروبي.

- يعتبر الإرهاب الدولي من المصطلحات المرنة القابلة للتأويل، وتنطلق المسلمات الإسلامية على أنه من صناعة القوى الكبرى لتحقيق أهدافٍ جيوسياسيةٍ وفقاً لما يُسمى بالحرب على الإرهاب أو الحرب بالإرهاب.

التوصيات:

تتمثّل أهم التوصيات المقدّمة في إطار دراسةٍ جدليةٍ لطبيعة وواقع العلاقة الموجودة بين الإرهاب والإسلاموفوبيا في القارة الأوروبية فيما يلي:

- تكثيف الجهود الدولية والمحلية سياسياً وإعلامياً داخل المجتمعات الغربية والإسلامية على حدّ سواء بهدف مواجهة ظاهرة تنامي الفكر الإرهابي الجهادي.

- الطعن في مقاربة أسلمة الغرب التي يُغذيها الإعلام الغربي واليمين المتطرف ليس في أوروبا فقط، وإنّما حتى في قارتي أمريكا وأوقيانوسيا والكارهة للأجانب عموماً.

- يجب على الهيئات الإسلامية الدولية كمنظمة التعاون الإسلامي، وغيرها من المؤسسات الدينية، وكذا المساجد المتواجدة على مستوى القارة أن تلعب دوراً أكبر لتوضيح الصّورة الحقيقية للإسلام، بإبراز الحدود بين الاعتدال والتطرف.

- المشاركة في الملتقيات الدولية حول حوار الحضارات الذي يدعو إليه الكثير من المفكرين، وذلك لدحض فكرة أن الإسلام إرهابي بهدف نشر فهمٍ أحسن وسليمٍ له.

- القيام بالدعاية لصورة الإسلام من خلال القنوات الإعلامية والصحافة الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي لتعديل الصورة النمطية المترسخة حولها، والردّ على حملات الكراهية التي تظهر في تلك الوسائط الإعلامية والاتصالية.

قائمة المصادر والمراجع:

(I) المصادر:

(1) القرآن الكريم.

(II) المراجع:

(أ) قائمة المراجع باللغة العربية:

الكتب:

- 2- أسماء الرجال، الإسلاموفوبيا، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، القاهرة، 2010.
- 3- توفيق بوستي وآخرون، الإسلاموفوبيا في أوروبا الخطاب والممارسة، المركز العربي الديمقراطي، برلين، 2019.
- 4- عثمان علي حسن، الإرهاب الدولي ومظاهره القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام، مطبعة المنارة، أربيل، 2006.
- 5- محمد أبو رمان، ما بعد الإسلام السياسي: مرحلة جديدة أم أوهام إيديولوجية، مؤسسة فريدريش إيبتر، الأردن، 2018.
- 6- محمد المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1982.

7- مصطفى الدباغ، الإسلاموفوبيا: عقدة الخوف من الإسلام، دار الفرقان، الأردن، ط.1، 1998.

8- محمد عزيز شكري، الإرهاب الدولي: دراسة قانونية ناقدة، دار العلم للملايين، بيروت، 1991.

9- يوسف علي، الإسلام وتهمة الإرهاب، دار المعارف الحكمية، بيروت، 2014.
الأطروحات:

10- عبد الحاكم عطوات، إشكالية اندماج المهاجرين المسلمين في دول الإتحاد الأوروبي وعلاقتها بتنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا: دراسة حالة فرنسا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة ورقلة، 2019-2020.

11- عمراني كربوسة، الحركات الإسلامية وإشكالية الإرهاب الدولي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر3، 2012-2013.

12- محمد دغجوقه، ظاهرة الإرهاب الدولي وانعكاساتها على الأمن الوطني الأردني، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الشرق الأوسط الأردن، 2014-2015.

المجلات:

13- سعيد حفطاوي، ظاهرة الإسلاموفوبيا في التصور الغربي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تبسة، المجلد التاسع، العدد.1، س.2016.

14- عبد الحاكم عطوات، تأثير ظاهرة الإسلاموفوبيا على اندماج المهاجرين المسلمين في الدول الأوروبية، مجلة دفاتر السياسة والقانون، جامعة ورقلة، المجلد الثاني عشر، العدد.1، س.2020.

15- عبد الحميد شريف، الإرهاب الدولي أسبابه وطرق مكافحته في القانون الدولي والفقهاء الإسلامي: دراسة مقارنة، مجلة كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر مصر، المجلد الثالث، العدد.31، س.2016.

16- علي مفتاح وآخرون، الإرهاب في الإسلام والغرب، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد الثاني والأربعين، العدد.2، س.2015.

17- مديرية الدراسات الإستراتيجية، صعود اليمين المتطرف في أوروبا، سلسلة البحث الراجع، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق بيروت، العدد.35، س.2019.

18- نفن سطاتس، الإرهاب بين صعوبة التعريف وسهولة التوصيف، مجلة المحامون، دمشق سوريا، المجلد الخامس، العدد.7-12، س.2015.

المواقع الإلكترونية:

19- إيليانا داغر، جماعات اليمين المتطرف تاريخ طويل من الهجمات الإرهابية الدموية، نشر في: 2019/3/15، تم الإطلاع في: 2022/4/16،

<https://www.independentarabia.com/node/12761/>

20- محمد بسيوني، محفزات الإرهاب المضاد تجاه المسلمين في الغرب، نشر في: 2017/7/2، تم الإطلاع في: 2022/4/16،

<https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/2949/>

21- نجيب الخنيزي، الإسلاموفوبيا بين الشعبوية الغربية وحركات الإسلام السياسي، نشر في: 2021/7/1، تم الإطلاع في: 2022/4/12،

<https://www.alfaisalmag.com/?p=21197>

ب) قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

22- Cheryl Benard, Civil Democratic Islam: Partners, Resources, RAND, United States of America, 2003.

23- Chris Allen, Towards a Working Definition of Islamophobia: A Briefing Paper, University of Birmingham, United Kingdom, 2017.

24- Ingrid Ramberg, L'islamophobie et ses conséquences pour les jeunes, Conseil de l'Europe, Budapest, juin 2004.

25- Larousse, l'Islamophobie, le 12/4/2022, <http://larousse.fr/dictionnaires/franais/islamophobie/186470?q=ISLAMOPHOBIE#109278>